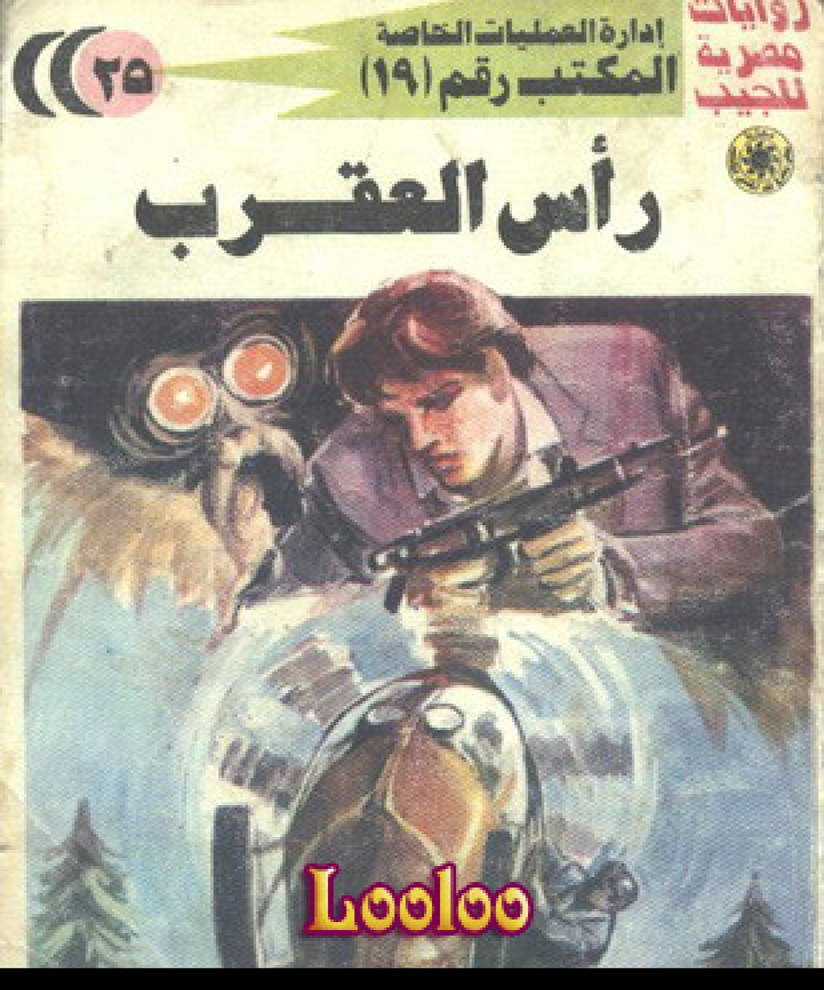

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
٢٥
روايات مصرية للجيب
رأس العقرب
Looloo

١ ـ شبكة التجسُّس ..

كان الاجتماع الذى حضره اللواء (مراد) ، مع عدد من كبار المسئولين عن الأمن فى الدولة ، بالمقر الرئيسى لهيئة الأمن القومى ، يعد من ذلك النوع من الاجتماعات ، الذى يطلق عليه (اجتماع على أعلى مستوى) .

ذلك أنه فى الأغلب الأعمّ ، عندما يراد تكليف جهات الأمن المعنيّة فى الدولة مهام معيّنة .. أو وضع خطط أمنيّة جديدة ، فإن ذلك يتم عن طريق رسائل شفرية ، مغلّفة بالشمع الأحمر ؛ ومسجل عليه عبارة (سرى للغاية) ..

وفى الحالات التى هى أكثر أهمية ، يكون ذلك عن طريق إبلاغ مثل هذه التعليمات أو التكليفات ، عن طريق عقد اجتماع يرأسه نائب رئيس هيئة الأمن القوميّ .

أما فى الحالات النادرة ، التى يرأس فيها رئيس هيئة الأمن تلك الاجتماعات بنفسه ، فإن ذلك يعنى أن هناك أمورًا هامّة وخطيرة للغاية ، تدعو إلى ذلك .

دخل رئيس هيئة الأمن القومى إلى قاعة الاجتماع ، فى اللحظة التى كان فيها اللواء (مراد) يطفئ سيجارته .

وبدأ بتحية الأعضاء الموجودين .. ثم ما لبث أن تصدَّر مائدة الاجتماع ، ليتحدَّث فى الموضوع مباشرة قائلًا :

ـ لقد تلقَّيت تقارير هامة وخطيرة للغاية فى الآونة الأخيرة ، من المخابرات المصرية ، وعدد من أجهزة المخابرات العربية ، التى تتعاون معنا ، فى نطاق الأمن العربى المشترك . ودائرة تبادل المعلومات .

ومعظم هذه التقارير تدور حول وجود شبكة تجسُّس على أعلى مستوى ، تتبع مخابرات (أسترتان) ، وتدار من جهة ما بالشرق الأوسط .

وشبكة الجاسوسيَّة هذه ، تجنِّد لحسابها فريقًا كاملًا من محترفى أعمال التجسُّس الحربى ، والصناعى ، والسياسى ، كما أنها تتعامل مع مجموعة من الخونة ، الذين يعملون لحسابها ، والذين قدَّموا لها معلومات فى غاية الأهمية ، حول الأسرار الدفاعية والاستراتيجية ، لمجموعة من البلاد العربية ،

ومن بينها مصر ، لنقلها إلى (أسترتان) عن طريق قنوات اتصال ، ترتبط بهذه الشبكة .

لقد انحصرت المعلومات التى جمعها رجالنا حول نشاط منظمة التجسُّس التابعة لـ (أسترتان) ، فى أنها تتخذ من إحدى المؤسسات الأجنبية ، أو الشركات الاستثمارية العاملة فى الشرق الأوسط ستارًا يخفى أهدافها الحقيقية ، ومصدرًا لجمع المعلومات ، واصطياد العملاء لتجنيدهم .

كما حدَّدت المخابرات المصرية أربعًا من تلك المؤسسات والشركات ، التى تدور حولها الشبهات .

على حين حدَّد لنا أحد أجهزة المخابرات العربية مؤسسة خاصة ، ليصبح لدينا خمس شركات استثمارية ، ومؤسسات دولية ، تتخذ إحداهما من النشاط التجارى والصناعى ، وعمليات التصدير والاستيراد ستارًا لأعمال التجسُّس ..

وقد طلبت من المخابرات المصرية تحديد نسبة مئوية ، للشُّبهات التى تدور حول كل هذه المؤسسات والشركات .

وبرغم أن هذه النسبة لم تصل إلى مائة فى المائة ، بالنسبة لأى من هذه المؤسسات المشبوهة ؛ إلا أن أكبر نسبة قد أعطيت ، وهى ثمانون فى المائة ، كانت من نصيب المؤسسة العالمية للإلكترونيات وأجهزة الكومبيوتر ، وهى مؤسسة استثمارية تزاول نشاطها فى بيروت .

وهذه المؤسسة تقوم بتجميع معدات أجهزة الكومبيوتر ، التى يتم استيرادها من عدة دول أوربية ، ومن اليابان ، وتركيبها ، ثم إعادة تصديرها إلى دول الشرق الأوسط ، بأرباح ضئيلة للغاية ومغرية بالمقارنة بمثيلاتها التى يتم استيرادها من أوربا ، واليابان ، والولايات المتحدة الأمريكية .

ولست هنا فى مجال شرح الأسباب والمعلومات التى توافرت لدينا ، والتى تجعلنا نضع هذه المؤسسة على رأس القائمة ، بالنسبة للشركات والمؤسسات الخمس الأخرى .

ولكن يكفى أن أقول ، إن اثنين من رجال المخابرات المصرية قد راحوا ضحية حوادث مريبة ، فى أثناء محاولة تحرّيهم النشاط الحقيقى لهذه المؤسسة .

فقد صدمت أحدهما سيارة مسرعة أودت بحياته ، فى حين وجد الآخر مشنوقًا داخل غرفته بالفندق القريب من المؤسسة ، وعلى نحو يوحى بانتحاره .. وهذا ما يزيد من شكوكنا .

إن مدير هذه المؤسسة رجل لبنانى يدعى (سليم الشهابى) ، ورئيسها رجل أعمال إنجليزى يدعى (جونى جارنر) .

ومن أسف لا توجد لدينا أية معلومات مؤكدة أو حقيقية حول الرجلين ، سوى نشاطهم المالىّ والتجارى السابق ، الذى لا يدينهما بشىء .

إن تلك الشبكة أو منظمة التجسُّس (الأسترتانية) تتخذ لنفسها اسمًا كوديًا ، هو (العقرب) ، ويقال إن هذا الاسم الكودىّ خاص برئيسها .

ليس هذا هو المهم .. إنما المهم أن هناك اتجاهين أريد أن أستمع إلى رأيكما فيهما :

الأول : ويقضى بقطع أذرع العقرب ، حتى يسهل الوصول إلى رأسه ، وقطعها هى الأخرى .

بمعنى تتبع ومطاردة جميع العملاء الذين يمكن التوصُّل إليهم ، ويعملون لحساب هذه المنظمة ، حتى نستطيع فى النهاية جمع أكبر قدر من المعلومات ، التى تتيح لنا الوصول إلى الرأس المدبِّرة لشبكة التجسُّس ، والقضاء عليها .

والثانى : يقضى بمطاردة الرأس التى تدير هذا التنظيم والوصول إليها مباشرة ، ثم تحطيمها ، فتصبح أذرع العقرب عديمة الجدوى ومفككة ، ليسهل جمعها بسهولة .

وهذا يعنى مطاردة الرأس التى تدير منظمة الجاسوسية ، والمسئولة عن نشاط هذه الشبكة للإيقاع بها ، دون التركيز على تتبع عملائها المنتشرين فى البلاد العربية ..

ونظر رئيس هيئة الأمن القومى إلى أعضاء الهيئة متسائلًا :

— من يوافق على الاقتراح الأول ؟

ورفع رئيس مباحث أمن الدولة ، ومدير المخابرات أيديهما ، دلالة الموافقة ، على حين أيد وزير الداخلية ومدير إدارة العمليات الخاصة الاقتراح الثانى .

قال لهم رئيس هيئة الأمن القومى :

— وأنا بدورى أضم صوتى إلى الاقتراح الثانى ، وأرى أن نعتمد عليه فى الوقت الحاضر .

وهذا يعنى أننا سنركز جهودنا على التغلغل داخل تلك المؤسسة الاستثمارية ، التى تسمَّى بالمؤسسة العالمية للإلكترونيات .. باعتبار أنها تحظى بأكبر قدر من شكوكنا ، محاولين معرفة ما إذا كان الرأس المدبِّر لمنظمة (العقرب) ، يكمن داخل هذه المؤسسة أم لا ؟ فإذا فشلنا فسنلجأ إلى الاقتراح الآخر .

لقد قرَّرت أن أرشح عميلًا من خارج المخابرات هذه المرة ، لأداء المهمة الرئيسية .. بعد أن أدى اثنان من ذلك الجهاز واجبهما بكفاءة عالية ، وحتى الموت ، لجمع أكبر قدرٍ من المعلومات التى توافرت لدينا حتى الآن .

ثم نظر إلى اللواء (مراد) قائلًا :

— إننى أعرف أن لديك رجلًا ممتازًا ، وله تاريخ حافل فى الصراع مع المخابرات الأسترالية .. أعتقد أن اسمه .....

وأكمل اللواء (مراد) قائلاً بثقة ، وقد أدرك الرجل المقصود .

ـــ (ممدوح) .. المقدم (ممدوح عبد الوهاب) .

رئيس هيئة الأمن القومى .

ـــ نعم .. (ممدوح عبد الوهاب) .. إن سجله حافل بالأعمال الناجحة ، ليس بالنسبة للمخابرات الأسترتانية فحسب ، بل فى عمليات أخرى عديدة ، تتسم بطابع شديد الخطورة .. لقد اطلعت على ملفه فى الأسبوع الماضى .

اللواء (مراد) :

ـــ إنه يعد من أكفأ الضباط الذين يعملون تحت إمرتى ..

وابتسم رئيس هيئة الأمن القومى قائلاً :

ـــ هذا ما أردت أن أسمعه منك شخصيًا ، بالإضافة إلى ما قرأته فى ملفه .. إننى أعتبر هذا الشاب مناسبًا تمامًا لهذه المهمة ..

اللواء (مراد) :

ـــ ولكنه معروف جيدًا لمخابرات (أسترتان) ..

رئيس هيئة الأمن :

ـــ وهذا ما أقصده تمامًا .. إننى لا أريد عملاً سريًا .. بل أريده عملاً استفزازيًا .

إن التاريخ الحافل لرجلك مع المخابرات (الأسترتانية) ، يجعلهم يضمرون له حقدًا هائلاً ..

ومواجهته لهم بوجه مكشوف ، سيجعلهم يعدُّون تصفيته مسألة شخصية ، وعملية خاصة ، تضاف إلى نشاط التجسُّس الذى يمارسونه .

وكلما حقَّق بعض النجاح معهم ، زاد ذلك من استفزازهم وغضبهم .. وكلما زاد استفزازهم وغضبهم ، أصبحوا أقل حرصًا ، وأكثر عرضة للخطأ .

وفى هذه الحالة علينا نحن أن نستفيد من أخطائهم ، لرفع نقاب السرِّيَّة ، الذى يحيطون أنفسهم به .

قال له اللواء (مراد) بقلق :

ــ ولكن هذا يعنى أن (ممدوح) سيكون عرضة لخطر أكيد .

رئيس هيئة الأمن القومى :

ــ إن المصلحة القومية تأتى فى الاعتبار الأول .. أليس كذلك ؟

وهزّ اللواء (مراد) رأسه قائلًا :

ــ بلى .. بلى .





٢ ــ مفاجأة وراء الستار ..

توجّه (ممدوح) من مطار بيروت مباشرة ، إلى الشقة التى حجزت له بإحدى العمارات الشاهقة ، فى أرق أحياء العاصمة اللبنانية .

كان (ممدوح) قد علم من اللواء (مراد) ، بتفاصيل المهمة التى كُلّفها ليلة أمس فقط .

واستغرق بقية الليل فى مناقشات وتفصيلات ، حول الدور الذى سيقوم به ، والذى تم إعداده بدقة وإتقان .

وبعد أن حصل على قسط غير كاف من النوم .. قام بإعداد حقائبه من أجل السفر إلى بيروت ، لبدء مهمته .

لذا فلم يكد يصل إلى شقته المفروشة ، التى قامت الإدارة باستئجارها لحسابه ، حتى شعر بأنه فى حاجة إلى النوم والراحة ، قبل أن يبدأ فى ممارسة مهمته الغامضة .. تلك المهمة التى كانت لم تزل تفاصيلها حتى الآن مبهمة .

خلع (ممدوح) (الجاكت) الذى يرتديه ، ليضعه على ذراعه ، ثم فكَّ ربطة عنقه قليلًا من حول رقبته ، وكذلك زرار قميصه العلوى ، ثم بدأ يفحَّص حجرات الشقة .

وبدأ (ممدوح) بحجرة النوم ، التى كانت مؤثثة تأثيثًا فاخرًا ، يتناسب مع الشخصية التى رسمت له كأحد رجال الأعمال المصريين ، وباعتبار أنه جاء إلى بيروت لعقد إحدى الصفقات الكبرى .

ولكنه ما كاد يخطو بضع خطوات قليلة داخل حجرة النوم ، حتى أحسَّ بغريزته المدرَّبة ، أن هناك شيئًا مريبًا بداخلها ..

وأيقن من صدق شعوره ، حين لمح حركة غير عادية تصدر من وراء الستار الكبير المدلَّى أمام النافذة .

وعلى الفور أسرع (ممدوح) يلتقط المقعد الصغير الذى بداخل الغرفة ، ويقذفه بقوة نحو الستار .

وانبعثت صرخة مكتومة كانت يد (ممدوح) أسرع منها .



فقد أزاح الستار ليجد وراءه رجلًا متوسط الحجم ، قوى البنية ، وهو يتألم من ارتطام المقعد به .

وجذبه (ممدوح) من (فانلته) إلى منتصف الغرفة ، قبل أن يستعيد توازنه ، وأخذ ينهال عليه بلكمات عنيفة متتالية ، جعلته يسقط أرضًا ، فاقد الوعى .

وبينما هو مستغرق فى ذلك ، إذا باب الغرفة ينفتح

فجأة ، ويرى شخصًا أطول قامة ، وأنحف بنيانًا ، يندفع نحوه شاهرًا مسدسًا فى يده .

وفى لمح البصر ، كان (ممدوح) قد تخلّص من الآخر ، ليقفز من فوق الفراش الذى يتوسّط الغرفة ، نحو ذلك الرجل كأنما هو فهد ينقض على فريسته .

ودون أن يتيح له الفرصة لإحكام تصويب مسدسه ، كان قد أمسك بذراع الرجل ، ولواه بطريقة دائرية ، كما يفعل أمهر المصارعين اليابانيين ، مطيحًا به إلى الأرض .

وفى اللحظة التى دخل فيها شخص ثالث إلى الحجرة ، كان (ممدوح) قد استحوذ على مسدس الرجل الذى أطاح به ، ليصوّبه نحو الثالث قائلًا بصوت آمر :

ـــ ارفع يديك إلى أعلى .

ورفع الرجل الذى كان يبدو على قدر كبير من الوسامة ، والأناقة ، يديه سريعًا إلى أعلى ، مذعنًا لأوامر (ممدوح) .

وابتسم الرجل الأنيق ، قائلًا بلهجة لبنانية واضحة :

ـــ يبدو أنه قد حدث خطأ غير مقصود .. أعتقد أنك المقدم (ممدوح) .. أليس كذلك ؟! اسمح لى أن أقدّم نفسى .

ومدّ يده إلى جيب سترته .. غير أن (ممدوح) صاح فيه بصوت أكثر حدّة :

ـــ حذار أن تلمس جيبك ، وإلا لن تجد الفرصة لتخرج يدك منه أبدًا .

وعاد الرجل ليرفع يديه إلى أعلى ، قائلًا لـ (ممدوح) :

ـــ إننى أقدّر حرصك يا أخى .. ولكننى لست من صفوف الأعداء كما تظن .

أنا المقدم (نعيم) من المخابرات اللبنانية ، ومكلّف معاونتك فى أداء مهمّتك .. وهؤلاء رجالى .

لقد أردت أن أقدم لك بطاقتى ؛ لتتأكّد من صحة ما أقول .

قال له (ممدوح) ، دون أن يرفع يده من فوق الزّناد :

ـــ رقمك الشفرى ؟

أجابه الرجل قائلًا :

ـــ ثلاثة .. ثلاثة .. ثلاثة .

ممدوح :

ـــ الاسم الحركى للمهمة ؟

نعيم :

ـــ رأس العقرب .

وهنا أعاد (ممدوح) المسدس للرجل الذى كان يستعد للنهوض .. قائلًا لـ (نعيم) وهو يمد إليه يده مصافحًا :

ـــ معذرة إليك يا صديقى .. فلم أكن أتوقَّع منك هذا الاستقبال المريب .

قال له (نعيم) ، وقد ازدادت ابتسامته اتساعًا :

ـــ لقد كان من المتفق عليه أن تصل بعد حوالى ساعتين من الآن ، بحسب الإشارة التى وردت إلينا من القاهرة .

ممدوح :

ـــ نعم .. ولكن طرأت بعض التعديلات ، التى استدعت تقديم السفر .

نعيم :

ـــ لقد قمنا باستئجار هذه الشقة لإقامتك منذ أربع ساعات فقط ، بحسب التعليمات التى وردت إلينا من القاهرة .. وكما هو متبع ، فقد خشينا أن تكون المخابرات (الأسترالية) قد علمت بحضورك بواسطة عملائها ، وأرادت أن تدسّ أنفها فى لعبتنا قبل أن نبدأها .

لذا كان لا بدّ من أن أحضر مع رجالى ، وهم من الخبراء المتخصِّصين فى عمليَّات التفتيش ، لفحص جميع محتويات الشقة ، وأركانها ؛ كى نتأكد من عدم وجود كاميرات تليفزيونية دقيقة مخفاة خلف الجدران ، أو أجهزة تصنُّت ، أو أى شىء من هذا القبيل .. وعندما فاجأتنا بحضورك مبكّرًا عن موعدك ، أردنا أن نتحقَّق من شخصيتك أولًا ، قبل أن نكشف أنفسنا لك .

وجلس (ممدوح) فوق أحد المقاعد قائلًا :

ـــ بالاختباء خلف الستائر .. وحمل المسدسات ؟.

إن ذلك لم يكن من المستبعد أن يعرّض أحدنا لمفاجأة غير سارة على الإطلاق .

وطلب (نعيم) من الرجلين الاستمرار فى أداء عملهما ، فى حين جلس فى المقعد المواجه لـ (ممدوح) قائلاً له :

ــ عمومًا .. لقد تأكدت الآن من أن إخواننا فى مصر قد أرسلوا إلينا رجلاً من طراز غير عادى ، يتميز بغريزة الحرص ، مما يجعلنى مطمئنًا إلى العمل معك .

وبعد قليل تقدّم الخبيران إلى المقدم (نعيم) ، ليقول له أحدهما :

ــ لقد فحصنا جميع محتويات الشقة .. لا يوجد أى شىء غير عادىّ .. إن الشقة نظيفة تمامًا .

قال لهما (نعيم) :

ــ حسنًا .. يمكنكما الانصراف .

ولكن قبل أن ينصرفا نهض (ممدوح) ليعتذر لهما قائلاً :

ــ معذرة أيها الزميلان .. ولكنكم تعرفون أن الحذر مطلوب بالنسبة لمن يعمل فى مهنتنا .. والنوايا أحيانًا تكون لها قيمتها ..

قال له أحدهما وهو يبتسم :

ــ لا عليك يا أخى .. إنها ليست المرة الأولى التى نقابل فيها مثل هذه المواقف ، ونتلقى فيها مثل تلك اللّكمات .

وحدّث الآخر نفسه ، وهو يحرّك فكّه بيديه :

ــ وإن كنت أعتقد أننى لم أتلقّ مثل هذا النوع من اللكمات الحديدية من قبل ، وأتمنّى ألّا أتلقّى مثلها فى المستقبل .

ونهض (نعيم) بدوره لينصرف ، قائلاً لـ (ممدوح) :

ــ سأتركك الآن لتستريح ، وغدًا سنذهب معًا إلى المؤسسة العالمية للإلكترونيات ، حيث أقدّمك لمديرها السيد (سليم الشهابى) ، باعتبارك أحد رجال الأعمال المصريين ، الذين يسعون إلى التعاقد مع المؤسسة ، لتوريد بعض أجهزة الكومبيوتر إلى مصر .

ممدوح :

ــ ألا تعتقد أننا لن نثير شكوكه ؟.

نعيم :

ــ بالنسبة لى فأنا فوق الشبهات ؛ لأننى صديق قديم له ، أو بمعنى أصحّ كُلّفت أن أكون صديقًا له .. أما بالنسبة لك ، فأحسب أنه لن يتقبّلك بسهولة ، بل لابدّ له من إجراء بعض التحرّيات والاستفسارات .. وفى هذه الحالة ، وإذا ما كانت هذه المؤسسة تخفى وراءها بالفعل تنظيمًا يتبع مخابرات (أسترتان) ، فحسبه أن يرسل إليهم بصورتك حتى يعرفوا من أنت ، وليصبح كلانا فى خطر ماحق ..

ثم ودّعه قائلًا :

ــ عمومًا .. حاول ألّا تفكّر فى مثل هذه الأمور الآن ، وحاول أن تحصل على قسط وافر من النوم ؛ لأننى أرى وجهك مجهدًا ، وسوف أمُرّ عليك بسيارتى صباحًا .

وشعر (ممدوح) بارتياح للمقدم (نعيم) ، فقد كان يبدو ذكيًا ، ومتفهمًا لدوره .

ولم يكد ينصرف ، حتى ألقى (ممدوح) بجسده فوق الفراش ، محاولًا تنفيذ ما أوصاه به .

* * *



٣ ــ مؤسسة الأسرار ..

توجَّه (ممدوح) ومعه (نعيم) فى صباح اليوم التالى إلى المؤسسة العالمية للإلكترونيات ، التى كانت تقع فى مبنى شاهق ، مُعَدّ على أحدث طراز .

وبعد أن قامت السكرتيرة بإبلاغ مدير المؤسسة بوصول (ممدوح) و (نعيم) ، أذن لهما بالدخول .

ونفذ الرجلان من خلال الأبواب المزدوجة ، لتقع عينا (ممدوح) أمامه على رجل قصير القامة ، منتفخ الوجه ، له جسد بدين ، وشعر أسود ناعم خفيف ، وقد بدت إحدى عينيه أضيق من الأخرى ..

كان الرجل جالسًا إلى مكتبه نصف الدائرى ، فى غرفة فسيحة على أحدث طراز عصرى .

ولم يكد يراهما مقبلين ، حتى نهض من وراء مكتبه ، ليصافح (نعيم) بحرارة ، قائلًا له :

ــ مرحبًا بصديقنا العزيز (نعيم) .. شرَّفت المؤسسة .

وقدم له (نعيم) (ممدوح) قائلًا :

ــ ها هو ذا صديقى (صفوت) ، الذى أخبرتك عنه .. إنه يعمل ضمن مؤسسة تضم عددًا من رجال الأعمال المصريين ، وتنوى تسويق أجهزة الكمبيوتر داخل مصر ، لحساب عدد من الشركات الأخرى ، والمؤسسات العلمية .. إن هذه المؤسسة منشأة حديثًا ، وتحتاج لتشجيع واهتمام من مؤسسة ضخمة ، لها اسمها كمؤسستكم .

ابتسم (سليم الشهابى) ، وهو يدعوهما إلى الجلوس قائلًا :

ــ فى الواقع يشرِّفنا أن نتعامل مع الشركات والمؤسسات المصرية ، التى تُولى معداتنا مثل هذه الثقة والتقدير .. وأنا أعد بأن تكون لمؤسستكم الأولوية فى أجهزة التصدير عن العام القادم .. خاصة أنكم من طرف صديق عزيز ، هو السيِّد (نعيم) .

ثم نظر إلى (ممدوح) نظرة ثاقبة ، قائلًا له :

ـ بالمناسبة .. ما اسم هذه المؤسسة ؟.

أجاب (ممدوح) فى ثبات :

ـ مؤسسة (رمسيس) ، لتصدير واستيراد معدات الكمبيوتر .

زوى (سليم الشهابى) ما بين حاجبيه مفكـرًا ، وقال :

ـ أحسب أننى لم أسمع عنها من قبل .

تابع (ممدوح) حديثه فى ثقة قائلًا :

ـ إنها منشأة حديثًا كما قال الأخ (نعيم) ، ويهمنا كثيرًا أن نتعامل مع مؤسسة كبرى كمؤسستكم ، نظرًا لما سيحققه لنا ذلك من ثقة فى التعامل مع الشركات والمؤسسات الأخرى .

قال (سليم الشهابى) :

ـ لقد وعدتك يا سيّد (صفوت) أن نولى طلباتكم قدرًا كبيرًا من الأولوية .

قال (ممدوح) متبسطًا :

ـ حسنًا .. هل تأذن فى أن نتكلم فى التفاصيل ؟

فابتسم (سليم) وهو يقدم لهما علبة سيجار ، قائلًا :

ـ لا .. لا إن الأمور هنا تحتاج لبعض الوقت .. فبالنسبة لى قد أعطيتكم كلمتى ، ولكن لابدّ أولًا من الرجوع إلى رئيس المؤسسة ، فى عقد مثل هذه الصفقات .. إن له الكلمة الأخيرة هنا .. وبعدها نستطيع أن نتحدث فى التفاصيل ، وهذا سيحتاج إلى بعض الوقت .

ونهض (نعيم) ومعه (ممدوح) ، قائلًا :

ـ إذن ننصرف الآن ، حتى لا نضيع وقتك الثمين ، وسوف أنتظر منك مكالمة فى مكتبى خلال الأسبوع القادم بهذا الشأن ، حتى يقوم السيّد (صفوت) بأرسال (تلكس) إلى المؤسسة المصرية ..

وصافحه (سليم الشهابى) قائلًا :

ـــ كلّا .. إنكما الليلة ضيفان عليّ فى منزلى .. فأنا أقيم حفلة صغيرة يحضرها بعض الأصدقاء ، وعملاء المؤسسة ، وكم يسعدنى أن تشرّفانى فى هذه الحفلة المتواضعة .

وتبادل (نعيم) مع (ممدوح) النظرات ، ثم هزّ الأول رأسه دلالة الموافقة ، ثم قال :

ـــ لا مانع ، سأحضر أنا و (صفوت بك) إلى الحفل ، فربما حظينا بلقاء رئيس المؤسسة ، وأتاح لنا ذلك فرصة اختصار الوقت .

وودعهما مدير المؤسسة حتى باب الغرفة ، ثم عاد ليتهالك على مقعده .. وضغط على أحد الأزرار أمامه ، فارتفع جهاز كومبيوتر صغير ، كان مختفيًا داخل قاعدة المكتب فى مواجهته .

وضغط على بعض أزراره مسجلًا على شاشته الكلمات التالية :

« أريد معرفة ما إذا كانت هناك شركة مصرية ، تتعامل فى استيراد وتسويق أجهزة الكومبيوتر ، تسمّى مؤسسة (رمسيس) .. كما أريد معرفة كل شىء عن أصحابها ، وما إذا كان بينهم شخص يدعى (صفوت) ؟. أنا فى انتظار هذه المعلومات مساء الليلة » .

ثم عاد ليضغط على الزرّ الذى فوق مكتبه ، ليعود جهاز الكومبيوتر ، ليتخذ وضعه الأول ، مختفيًا داخل قاعدة المكتب ..

* * *

وفى المساء اتجه (ممدوح) ورجل المخابرات اللبنانية إلى الحفل ، الذى أقامه (سليم الشهابى) ، مدير المؤسسة العالمية للإلكترونيات .. كان الحفل فاخرًا ، وإن كان يقتصر على عدد محدود من المدعوين .

واستقبلهم (سليم) بنفس الحفاوة التى قابلهما بها فى مكتبه من قبل ، ودعاهما لتناول بعض المرطبات قائلًا :

ـــ يسعدنى تشريفكما حفلتى .. وإن كنت أعتذر عن عدم حضور مستر (جارنر) ، لسفره إلى لندن هذه الليلة .. ومع ذلك فقد أبدى قدرًا كبيرًا من الاهتمام للتعاون مع المؤسسة المصرية .

وبينما كان يتحدّث إليهم ، دنا منه أحد أعوانه ، وهمس فى أذنه ببضع كلمات ، اعتذر على أثرها قائلًا لهما :

ـــ معذرة .. اسمحا لى أن أستأذنكما ببضع لحظات ، فهناك مكالمة هامة تنتظرنى بمكتبى ..

ممدوح :

ـــ تفضّل .

سليم :

ـــ تصرّفا على راحتكما ، فالمنزل منزلكما .

واتجه (سليم) إلى غرفة المكتب ، حيث جلس أمام مكتب يشبه تمامًا مكتبه بالمؤسسة .. وكانت هناك لمبة حمراء صغيرة فوق المكتب ، راحت تصدر إشارات ضوئية متقطعة .

وكما فعل (سليم) فى مكتبه بالمؤسسة ، ضغط على زرّ صغير خفى فوق مكتبه ، فارتفع من داخل قاعدة المكتب جهاز كومبيوتر صغير كان بداخلها .

وضغط على أزرار الجهاز ، فظهرت أمامه على شاشته الكلمات الآتية :

« بخصوص المؤسسة المصرية (رمسيس) فهى موجودة بالفعل ، فقد أنشئت حديثًا ، وتعمل فى مجال استيراد وتسويق أجهزة الكومبيوتر .. أما بخصوص أصحاب هذه الشركة ، فليس بينهم من يدعى (صفوت) .. مطلوب منك الاتصال برئيس المنظمة على الفور بمجرد تلقّيك هذا البيان » .

وأعاد (سليم) الجهاز إلى مكانه ، ثم أخرج جهازًا لاسلكيًا صغيرًا من داخل أحد أدراج مكتبه ؛ ليتصل بواسطته برئيس المنظمة ، بحسب التعليمات التى ظهرت على شاشة الجهاز .

وأخذ يردّد قائلًا ، بعد أن ضبط الموجة اللاسلكية :

— من الثعبان إلى العقرب .. تلقّيت أوامرك بالاتصال ..

وسمع صوتًا مبحوحًا يردّ عليه قائلًا :

— لقد بدأت فى ارتكاب الأخطاء ، برغم أنى حذّرتك من قبل .. فقد تمكّن ذلك الوغد الذى يدعى (نعيم) من أن يخدعك ، ويقنعك بالاستسلام لصداقتك معه ، فى حين أنه فى الحقيقة عميل للمخابرات اللبنانية .

وتصبّب وجه (سليم) عرقًا ، وهو يتحدّث بكلمات مرتعشة ، قائلًا :

— لم يدر فى خلدى لحظة واحدة ، أن رجلًا مثل (نعيم) يمكن أن يكون جاسوسًا .. أرجو أن تغفر لى خطئى أيها الرئيس ؛ فهو على كل حال لا يعرف شيئًا عن طبيعة عملنا .

ورد الصوت المبحوح بنبرة غاضبة قائلًا :

— وهل كنا سننتظر حتى يعرف ؟. إن خطأك هو أنك جعلته يخدعك ، بدلًا من أن تخدعه أنت ، وتوهّمت أنه

تحوّل بالنسبة لك إلى صديق غنىّ ، دون أن تجرى عنه التحرّيات اللازمة .

والأخطر من ذلك أن هذا الرجل الذى جاء به ليعرّفه عليك ، ويوهمك بأنه قد جاء من أجل عقد إحدى الصفقات التجارية مع المؤسسة ... أتعرف من هو هذا الرجل ؟. إنه من أخطر العملاء المصريين ، ويعمل لحساب جهاز أمن متفوّق للغاية ، ويدعى (ممدوح عبد الوهاب)!!

عليك أن تزيح هذين الرجلين من طريقنا تمامًا .. ولكن تصرّف بحرص ، ودون أخطاء أخرى .. فنحن لن نسمح بوقوع المزيد من الأخطاء .

فأجابه (سليم) بكلمات حانقة :

— أمرك أيها الرئيس .. سأعرف كيف أزيحهما من طريقنا .. وإلى الأبد .

* * *

٤ ـــ مفاجأة دامية ..

انصرف المدعوون بعد انتهاء الحفل .. وكان (سليم) فى وداع (ممدوح) و (نعيم) ، بعد أن حصلا منه على وعد لترتيب لقاء قريب ، بين كل من مستر (جارنر) رئيس المؤسسة و (ممدوح) .

واستقل (نعيم) سيارته ، بعد أن وعد (ممدوح) بالاتصال به بعد لقائه مع (جارنر) ، الذى طلب أن يكون لقاء منفردًا .

أما (ممدوح) فقد استقل سيارته (الرينو) ، التى استأجرتها له المخابرات اللبنانية ، بناء على طلب إدارة العمليات الخاصة ، لكى تسهِّل له تحرُّكاته فى بيروت .

وأدار (ممدوح) محرِّك السيارة ، وانطلق بها فى طريقه إلى المنزل ..

ولكن سرعان ما كشف (ممدوح) ، بعد مسافة قصيرة قطعها بالسيارة ، أن هناك من عبث بها .

فحين ضغط بقدمه اليمنى على دوَّاسة (الفرامل) ، وجد قدمه تغوص دون مقاومة على الإطلاق .. دلالة على أن (الفرامل) معطبة تمامًا ..

وتساقط من مسامِّ جسده العرق ، وهو يحاول أن يهدئ من سرعة السيارة دون جدوى .

وفجأة برزت أمام عينيه ودون سابق إنذار سيارة نقل ضخمة ، تسد عليه الطريق ، وقد وقف صاحبها يشير له بيده للتوقُّف ، دلالة على تعطُّل سيارته .

ولم يكن الرجل يدرك فى هذه اللحظة ، أن (ممدوح) قد فقد كل سيطرة له على السيارة ، التى أخذت تندفع فى طريقها نحو الكارثة .

وأشار (ممدوح) بيده من نافذة السيارة للرجل ، إشارات سريعة حانقة ؛ كى يبتعد .

ولم يجد (ممدوح) أمامه مفرًا من أن يفتح بابها ، ويقذف بنفسه خارجها ، على أحد جوانب الطريق .

ولم يتردَّد لحظة واحدة ، وهو يقفز إلى الأرض متدحرجًا ..

فيما ظلت سيارته تواصل طريقها ، مندفعة بسرعة جنونية ، فى اتجاه سيارة النقل ، فاصطدمت بها محدثة انفجارًا هائلًا ، تحولت على أثره السيارتان إلى كتلة من النيران المشتعلة ..

وفى اللحظة التى وقف فيها صاحب سيارة النقل مشدوهًا ، وهو ينظر إلى ذلك المشهد المروّع ، كان (ممدوح) يحاول أن ينهض من سقطته ، بعد أن أدّت سقطته إلى إصابته بعدة جراح فى أجزاء متفرّقة من جسده .

ومن بعيد كانت هناك سيارة مقبلة ، توقّفت على مقربة منه ونزل منها المقدم (نعيم) ، الذى نظر إلى (ممدوح) ، ثم إلى السيارتين المشتعلتين مأخوذًا ، وهو يقول :

ـ ماذا حدث ؟.

قال له (ممدوح) ، وهو لم يزل يتحسّس جسده المثخن بالجراح :

ـ يبدو أنهم قد توصّلوا سريعًا إلى حقيقتى ، وأرادوا أن ينتهوا منّى بنفس السرعة .

ولكن ماذا أتى بك ورائى ؟

نعيم :

ـ لقد اتصل بى أحدهم لاسلكيًا فى أثناء قيادتى السيارة ، فأخبرنى بأن علىّ أن ألحق بك لأمر خطير .

ممدوح :

ـ أكان الاتصال صادرًا من المخابرات اللبنانية ؟ .

نعيم :

ـ كلّا .

ممدوح :

ـ كيف عرفوا إذن الموجة التى يتم بها اتصال اللاسلكى ؟

نعيم :

ـ إننى لَمْ أفكّر فى ذلك وقتها ، ولكنى أخذت ذلك التحذير مأخذ الجد .. وقرّرت أن ألحق بك .

ووضع (ممدوح) يده على كتف (نعيم) قائلًا :

ـ إن ذلك يعنى ....

ثم ما لبث أن تقلَّصت ملامح وجهه ، وجذب (نعيم) بقوة من ذراعه ، ليلقى بنفسه على الأرض ، وهو يجذبه معه .

ولم تكد جبهتهما تلامسان الأرض ، حتى كانت سيارة مسرعة قد مرت بجوارهما ، وقد برز من نوافذها مدفعان رشاشان ، سرعان ما تدفَّق منهما سيل من الرصاص ، شق الهواء فوق رأسيهما .. ودفن كل منهما وجهه فى تراب الأرض ، ولم يرفعه إلا حينما تأكدا من ابتعاد السيارة .

قال (ممدوح) لـ (نعيم) ، وهو ينفض التراب من فوق وجهه :

— يبدو أننى لم أكن الوحيد المستهدف ؛ فقد كانت خطَّتهم تقضى بالتخلُّص منَّا على مرحلتين .

نعيم :

— لقد نجونا بأعجوبة .. هل ستذهب غدًا للقاء (سليم) ، بعد أن عرفوا حقيقتنا ؟.

ممدوح :

— بالطبع .. سألعب معهم الآن على المكشوف .

نعيم :

— ولكن فى ذلك خطورة بالغة عليك .. أليس من الأفضل أن آتى معك ؟.

ومن بعيد كانت صفَّارات الشُّرطة اللبنانية تدوِّى ، وهى تدنو من مسرح الأحداث .

ممدوح :

— لا تخف .. إنهم أذكى من أن يتعرَّضوا لى بالأذى داخل المؤسسة ، فهم أحرص ما يكونون على الابتعاد عن الشبهات .. المهم أن تحاول الآن التصرُّف مع رجال الشُّرطة اللبنانيَّة ، فقد بدءُوا يقتربون منَّا ، ولست على استعداد لإضاعة الوقت فى التحقيقات والاستفسارات التى يعدونها لنا .. وبعد ذلك عليك أن توصِّلنى بسيارتك إلى المنزل .

* * *

فى صباح اليوم التالى ، توجَّه (ممدوح) إلى مقر إدارة

المؤسسة ، وقد بدت على قسماته أمارات الثقة والثبات .. واستقبله (سليم الشهابى) بنفس الترحاب المبالغ فيه ، وكأن شيئًا لم يحدث قائلًا له :

ـ إن مستر (جارنر) فى انتظارك .

واصطحبه إلى الدور العلوى ، حيث نفذ معه إلى مكتب أكثر اتساعًا وفخامة ، وقد جلس إليه شخص طويل القامة ، نحيف الجسد ، فى ظهره انحناءة خفيفة ، وعلى عينيه نظارة طبّية ، ذات عدسات مزدوجة .

ونهض الرجل ليصافح (ممدوح) بترحيب أقل من مرءوسيه ، قائلًا له :

ـ يشرّفنا حضورك إلى مؤسستنا يا مستر (صفوت) .

ثم دعاه إلى الجلوس متابعًا حديثه :

ـ لقد حدّثنى (سليم) عن رغبة مؤسستكم فى التعامل معنا .. ولكن برغم أننا لا نتعامل إلّا مع شركات عريقة ، ومؤسسات لها اسمها فى الأسواق العربية والآسيوية ، إلّا أن المعلومات التى تلقّيناها عن مؤسستكم

الحديثة كانت مشجّعة ، وتحملنا على الثقة فى أنه سيقوم بيننا تعاملات ممتازة .

وابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ وأنا بدورى أعتقد أننا سنحقّق نجاحًا غير عادى ، من خلال التعامل مع مؤسستكم .

جارنر :

ـ هذا ما أرجوه يا مستر (صفوت) .. يمكنك أن تحدّد قائمة طلباتكم ، وتبلّغها لمستر (سليم) ، وأعدكم بأنها ستنفّذ خلال ثلاثة أشهر على الأكثر .

ممدوح :

ـ شكرًا جزيلًا لك يا مستر (جارنر) .

ونظر إليه (جارنر) نظرة تهكّمية ، قائلًا :

ـ بالمناسبة .. فيمَ هذه الجروح فى وجهك ؟ أتعرّضت لحادث ما ؟

وفهم (ممدوح) مغزى كلماته ، فردّ عليه بقوله :

— نعم .. إنها حادثة طريق صغيرة .. ولكن اطمئن فهى لن تعوق عملنا معًا .. ومازلت أؤكد أننا سنحقق معكم نجاحًا غير عادى .

ونهض (جارنر) لمصافحة (ممدوح) ، إيذانًا بانتهاء الزيارة ، وهو يقول له بنفس النبرة التهكمية :

— وأنا أيضًا ما زلت أرجو ذلك .. وإن كنت أتمنى أن تكون أكثر حرصًا من حوادث الطريق فى المستقبل .

وأخذ يتابع (ممدوح) بنظراته الحاقدة فى أثناء انصرافه ، ثم ابتسم بسخرية قائلاً لـ (سليم) :

— إن الأوامر قد صدرت إلينا ، بالعدول عن اغتيال ذلك الطاوس المغرور .. والمخابرات (الأستراتانية) ترى أنه عميل له أهميته ، وأنه من الأفضل اختطافه ، وتصديره إلى (أستراتان) .

سليم :

— أعتقد أنه لن يكون شحنة سهلة .

ونظر إليه (جارنر) بتعال ، قائلاً :

— إنها ليست المرة الأولى التى يحاولون فيها اختطافه .. لكن فى المرة السابقة لم تكن منظمة (العقرب) قد شكلت بعد ، وأنت تعرف أنه لا يوجد شىء يمكن أن يصعب على (العقرب) .. لقد أفلت فى المرة السابقة ، ولكنه سعى إلينا هذه المرة بقدميه .. ومادامت (العمليات الخاصة المصرية) تصر على إهدائنا عميلهم المفضل ، فسوف نقبل هديتهم بكل سرور ..

* * *

مضى (ممدوح) إلى شقته ، وقد تضاعف إحساسه بأن التقديرات التى حدَّدتها المخابرات المصرية ، حول الدور المشبوه لهذه المؤسسة فى عمليات التجسُّس الأخيرة ، كانت تقديرات صائبة ، ولابدَّ أن شبكة الجاسوسيَّة المعروفة بـ (العقرب) ، تعمل من خلالها .. لقد كان ذلك هو إحساسه الشخصى ، وبقى عليه الآن أن يضع يده على الأدلة التى تؤكد ذلك .

لابدَّ أن يحصل على حقائق مؤكَّدة ، تؤيد كل هذه الشكوك التى تضخَّمت ، والتى لابدَّ أنها تتجمَّع فى النهاية

عند ذلك الرجل النحيف ، ذى النظرات الثاقبة من خلف العدسات المزدوجة ، والمسمّى (جونى جارنر) .

وقبل أن يعمد إلى فتح باب الشقة ، نظر إلى الرشيط اللاصق الرفيع ، الذى وضعه بين الإطار الخارجى للباب ، وجسم الباب نفسه عند مغادرته للشقة فى الصباح .. ولكنه كشف أنه غير موجود فى مكانه ، وإنما هو ملقى على بعد خطوات من حذائه .

وأدرك (ممدوح) أن هناك من عبث بشقتــه من الداخل ، كما فعلوا بسيارته من قبل .

وفى هدوء مشوب بحذر ، فتح الباب ، وقد أخرج مسدسه من جراب الحزام الملتف حول كتفه ، والذى يختفى وراء (الجاكت) الذى يرتديه .

وعلى أطراف أصابعه تسلّل ودخل إلى الشقة بهدوء ، ليرى بصيصًا من الضوء ينبعث من إحدى الحجرات الداخلية .

ودفع (ممدوح) باب الحجرة بقدمه بكل قوّته ، وقد أمسك بمسدسه بكلتا يديه ، ليصوّبه إلى الداخل ، وهو واقف على عتبتها ..

ولشد ما كانت دهشته ، حين رأى أمامه المقدم (نعيم) ، وقد جلس فوق أحد المقاعد التى تتوسّط الغرفة .

وأطلق (ممدوح) زفرة طويلة ، وهو يعيد المسدس إلى الجراب قائلًا :

ـــ أنت مرة أخرى يا (نعيم) ؟! لقد قلت لك من قبل : إن مثل هذه المفاجآت تكون دائمًا محفوفة بالخطر .. لِمَ لَمْ تنبّهنى إلى أنك ستكون موجودًا بالشقة ؟.

ولكن (نعيم) لم يجبه هذه المرة ، فقد بدت نظراته غريبة جامدة .. فما كانت جفونه تتحرّك ، بل كانت عيناه جاحظتين تمامًا .

دنا منه (ممدوح) يمسك بذراعه متسائلًا :

ـــ (نعيم) .. أهناك شىء ؟.

على أنه لم يكد يمسك بذراعه ، حتى تهاوى الرجل من فوق مقعده ، ليتكوّم على الأرض .

وصدم (ممدوح) لدى رؤيته نصل خنجر حادًا ، وقد استقر حتى مِقبضِه فى ظهر المقدم (نعيم) ، الذى أغرقت دماؤه المقعد .

وفيما كان (ممدوح) مستغرقًا فى ذهوله من أثر المفاجأة ، إذا باب الحجرة ينفتح فجأة ، ليقع نظر (ممدوح) على ثلاثة رجال أشدّاء ، شاهرين مسدساتهم نحوه ، وأحدهم يقول بسخرية وتهكُّم :

ـــ مفاجأة غير سارّة .. أليس كذلك ؟.

وانتابت (ممدوح) ثورة شديدة من الغضب ، وهو يصرخ فيهم قائلًا :

ـــ أيها القتلة .. أيها الأوغاد .. ستدفعون ثمن جريمتكم هذه .. أقسم أن أجعلكم تدفعون ثمن ذلك غاليًا ..



ونظر الرجل إلى زميليه قائلًا :

ــ جرِّدوه من مسدسه .

* * *



٥ ــ فى عرين الأسد ..

سيق (ممدوح) إلى السيارة التى كانت تقف أسفل المنزل فى انتظاره ، حيث أُجْلِسَ عُنوة فى المقعد الخلفى ، وبجواره اثنان من الرجال ، وضغط كل منهما فوَّهة مسدسه فى أحد جنبيه ..

أما الثالث فقد اتخذ مقعده إلى جوار السائق ، لتنطلق السيارة ..

كان من الجلىِّ أنها عملية اختطاف ، وأنهم لو أرادوا قتله لفعلوا ، خاصة وأن مسدساتهم مزوَّدة بكواتم للصوت .

ويبدو أن (نعيم) لم يكن يمثِّل لهم كبير أهمية ؛ لذا تخلَّصوا منه ، وأن الأوامر قد صدرت لأولئك الرجال بإحضار (ممدوح) حيًّا ..

وأخذ (ممدوح) يجهد ذهنه طوال الطريق فى التفكير

فى محاولة الهروب ، خاصة بعد أن انقطع خيط الاتصال الذى كان يربطه بكل من المخابرات اللبنانية فى بيروت ، وإدارة العمليات الخاصة فى مصر .

وبعد مسيرة الساعة والنصف تقريبًا ، وقفت بهم السيارة أمام فيلا بعيدة منعزلة ، تحيط بها أشجار النخيل الباسقة .. وفتحت البوابة الحديدية للفيلا ، لتنفذ منها السيارة ، حتى بلغت المبنى الداخلى ، الذى كان أشبه بأحد القصور القديمة .

ولم يكد (ممدوح) يهبط من السيارة ، حتى ألقى نظرة فاحصة سريعة على المكان .

كان هناك سُلّم حلزونى ، جانبى ، يفضى إلى مدخل المبنى ، وقد أحاطت به الأشجار الضخمة ، وتدلت حوله أوراق اللبلاب الخضراء .

وتقدّم اثنان من الرجال أمام (ممدوح) ، ليصعدا فى درجات السُلّم وهو فى أثرهما .. فيما كان الاثنان الآخران يتبعانه ، وقد أمسك كل منهما بمسدسه ..

وصعد (ممدوح) فى درجات السُلّم ببطء متعمّد ، فنهره أحدهم ، قائلًا :

ـ أسرع بالصعود ، فلا وقت لدينا .

كان (ممدوح) قد بلغ منتصف السُلّم .. وبأسرع من ومض البرق أمسك بحاجز الدَّرَج ، ثم وثب كالفهد من فوقه ، ليهبط بين الأشجار المحيطة به .

بوغت الرجال الأربعة بهذه الحركة ، وسرعان ما استرد الاثنان اللذان فى المؤخرة جأشهما ، وأطلقا الرصاص صوبه ..

فيما أسرع الآخران اللذان فى المقدمة بإخراج مسدسيهما ، وقفزا درجات السُلّم لمطاردته .

وانطلق (ممدوح) يعدو بين الاشجار ، على صورة لولبيّة غير منتظمة ، ليتجنب سيل الرصاصات ، التى أخذت تنهال عليه .. وأدرك أنه لن يستطيع النجاة على هذا النحو .. خاصة وقد أصبح الرجلان اللذان يطاردانه على مسافة قريبة منه ، وهو أعزل من السلاح .

وعوَّل (ممدوح) أن يلجأ إلى أحد الأسلحة الخفية ، التى زوَّدته بها الإدارة .

انتزع دبُوسًا ذهبيًا كان مشبوكًا حول رباط عنقه ؛ ورفع الغلاف الرقيق من مؤخرته ، التى ضغط عليها ، لتنطلق منها قذيفتان سريعتان ، فى حجم الإبرة الصغيرة المدبَّبة .

وسرعان ما استقرت القذيفتان فى عنقى الرجلين ، بتصويب بالغ الإحكام ، ليسقطا بين الأشجار يتلويان ..

وبينما كان الآخران يسرعان خلفه ، كان هو قد حلَّ رباط عنقه ، ليسحب من داخله حبلًا رفيعًا من المطَّاط ، مزوَّدًا فى نهايته بخطاف كالزنبرك ، له نصل حادّ برغم صغر حجمه .

وحالما دنا (ممدوح) من البوابة الخارجية ، ألقى بالخطاف إلى أعلى ، لتستقر نهايته فوق حافتها .. وتسلَّق الحبل ، ليصعد فوق البوابة الحديدية ، معرِّضًا نفسه لخطر محقق ، بعد أن أخذت الرصاصات تتطاير حوله .

وإن هى إلَّا لحظات ، حتى كانت هناك ثلاث سيارات تندفع من البوابة بعد فتحها ، بحثًا عن (ممدوح) ، فى الوقت الذى كان هو فيه قد اختفى بين سعف النخيل العالية ، التى تسلَّقها ، مستعينًا بالحبل ذى الخطاف .

ومن بعيد رأى (جارنر) يقف فى أعلى سُلَّم المبنى الداخلى للفيلَّا ، وهو يهدِّد ويتوعَّد ، ويصيح بإعادة (ممدوح) بأى ثمن .

وما أن تأكَّد (ممدوح) من مغادرة السيارات الثلاث للفيلَّا ، حتى قفز إلى السور المحيط بها ، متسلِّلًا وعائدًا إلى عرين الأسد ، الذى أمكنه أن يهرب منه منذ لحظات .

وفى أثناء ذلك كان (جارنر) يروح ويغدو ، ثائرًا داخل إحدى حجرات الفيلَّا ، ومعه (سليم الشهابى) صائحًا فيه :

— لابُدَّ من العثور على ذلك الوغد بأى ثمن .

قال له (سليم) :

— لقد قلت من قبل إنه من الأفضل أن نقتله ، ونتخلّص منه ، كما فعلنا بـ (نعيم) بدلًا من اختطافه .

ولوّح (جارنر) بقبضته قائلًا :

— المسألة ليست مسألة قتله ، أو خطفه الآن .. إن الأمر أخطر من ذلك .. فهروب ذلك العميل المصرى ووصوله إلى أقرب (تليفون) فى بيروت يعنى بداية النهاية لمنظمة (العقرب) ؛ لأنه بلا شك أصبح يعرف الكثير من الأسرار عن المؤسسة ، ونشاطها الحقيقى .. كما أن الوصول إلى هذا المكان ، ومعرفة ساكن الڤيلا .. أمر لن يستعصى على المخابرات العربية ، وسنصبح جميعًا فى خطر بالغ .

وفى تلك اللحظة كان (ممدوح) قد دنا من المبنى الداخلى للڤيلا ، حيث فاجأه أحد الرجال المسلحين .

لكنه لم يدع له الفرصة ، فقد عاجله بلكمة سريعة ، قبل أن يستخدم سلاحه ، بعد أن أطاحه من يده بركلة قوية من قدمه .. ثم ما لبث أن أخذ ينهال عليه بلكمات سريعة متتالية ، جعلته يترنح ، ويسقط على الأرض فاقد الوعى .

واستولى (ممدوح) على مدفعه الرشاش ، ليعلّق حزامه حول صدره ، ثم قذف بالخطّاف على حافة إحدى شرفات مبنى الڤيلا ليتعلّق بسورها ، وشرع يتسلّق الجدار بهدوء وحذر ..

وبينما كان (جارنر) جالسًا فى غرفته مع (سليم) ، إذا زجاج الشُرفة يتحطّم فجأة ، على أثر ركلة قوية من قدم (ممدوح) ، ليجداه أمامهما بالداخل ، وهو يصوّب إليهما فوّهة الرشاش الذى أمسك به فى يده ، وهو يتقدّم نحوهما فى ثبات .

وحينما حاول (سليم) أن يخرج مسدسه ، عاجله (ممدوح) بضربة قوية من مؤخرة المدفع ، ليدفعه بجوار (جارنر) ، بعد أن جرّده من مسدسه ، قائلًا لهما :

— والآن أيها السيّدان ، كنتما تريدانني ، وهأنذا قد جئت إليكما بنفسى ، ولكننى مصمّم على العودة بكما هذه المرة ؛ لأن هناك الكثير من التفاصيل التى سوف ترويانها عن نشاطكما الحقيقى ، لأناس يهمّهم سماع مثل هذه التفاصيل .

ولكن (ممدوح) لم يشعر بالباب الذى انفتح خلفه فجأة ، ونفذ منه بهدوء أحد الرجال المسلحين ، إلا حين أحس بفوهة رشاش آخر تلتصق بظهره ، وصوت أجش يقول له :

ــ ألق بسلاحك على الأرض .

وتظاهر (ممدوح) بإلقاء سلاحه ، ولكنه سرعان ما استدار كالوميض ، ليضرب وجه الرجل ، الذى يقف خلفه بمؤخرة المدفع ، دون أن يتيح له أى فرصة لاستخدام مدفعه ، الذى سقط من يده ، على أثر هذه الضرّبة العنيفة المباغتة .. وبضربة أخرى من مقدمة السلاح ، أرسلته مرتطمًا بجدار الحائط .

واندفع (سليم) فى هذه اللحظة ، وأمسك بطرف المدفع ، الذى كان (ممدوح) ممسكًا به ، ضاغطًا جسمه المعدنى على عنق (ممدوح) فى محاولة لخنقه .. ولكن (ممدوح) الذى كان لم يزل حتى الآن ممسكًا بالمدفع ، استجمع كل قوته لإبعاد الجسم المعدنى عن عنقه .

ثم ما لبث أن انحنى بظهره ، ليرفع (سليم) المعلّق بطرف المدفع إلى أعلى ، وألقى به من فوق ظهره إلى الأرض .

وسرعان ما عاد المدفع فى يد (ممدوح) إلى وضعه الطبيعى ، كسلاح معد لإطلاق الرصاص .. وصوّب فوّهته فى اتجاه (سليم) .

لكن مسدس (جارنر) هذه المرة كان أسرع ، فقد أحسّ به (ممدوح) ملتصقًا بمؤخرة رأسه ، على نحو لم يجد معه بدًا من التسليم ، وإلقاء الرشّاش من يده .

فلم يكن يساوره أدنى شك ، فى أن (جارنر) لن يتردّد هذه المرة فى تنفيذ تهديده له ، وتحويل رأسه إلى مصفاة بالثقوب ، كما وعد من قبل ..

* * *

٦ ــ صراع فى البحيرة ..

لم يكن (ممدوح) يعرف على وجه اليقين ، ماذا أتى به إلى هذا المكان المظلم البارد ..

كل ما يذكره هو أنه قد تلقّى عدة ضربات عنيفة وثقيلة تحت تهديد مسدس (جارنر) ، وبمساعدة أعوانه ، حتى سقط على الأرض فاقد الوعى .. وعلى ما يبدو فقد قاموا بتخديره ، ونقله إلى هنا .

كان (ممدوح) ملقًى على الأرض فى أحد أركان مكان ضيّق بارد ، تنشع جدرانه بآثار الرطوبة .

كان المكان أشبه بقبو مظلم ، منعزل عن العالم ..

ونهض (ممدوح) يتحسّس طريقه فى الظلام ، محاولًا البحث عن مخرج من هذا المكان الكئيب ..

وأخيرًا لامست يداه بابًا معدنيًا ثقيلًا ، كان من الجلىّ أنه مغلق من الخارج .

قال لنفسه :

ــ إذن فقد أتوا بى إلى ذلك الجحر ، ليجعلوا منّى سجينًا .. ولكن لِمَ لَمْ يحاولوا التخلّص منّى ، ما دمت قد أصبحت أشكّل لهم خطورة ؟!

وسرعان ما جاءته الإجابة ؛ فقد فتح الباب فجأة ، ليضاء المكان بمصابيح ضوئية قوية ، ونفذ إليه رجل متوسط القامة ، يرتدى معطفًا وقبعة من الجلد الأسود ، وعلى إحدى عينيه عصابة سوداء .. ومن خلفه كان هناك رجلان ضخما الجثة ، وفى يد كل منهما مدفع رشاش ، يتدلّى من حزام جلدى حول أكتافهما .

وقدّم الرجل ذو العصابة السوداء إلى (ممدوح) ورقة فلوسكاب،مدوّنًا عليها بعض الأسئلة ، ثم أدنى منه ضوء المصباح ، ليقرأ ما فيها .

ودون أن ينتظر منه تكملتها ، قال له :

ــ لقد أحضرناك إلى إحدى المناطق الجبلية المنعزلة فى جنوب لبنان .. وأنت الآن سجين فى قبو تحت أرض

مزرعة ، تعد من الممتلكات الخاصة للسيِّـــد (سليم الشهابى) .. والسيِّد (سليم) حريص عليك ، ويريد أن تعاملك معاملة جيِّدة ، باعتبارك عربى من أبناء عمومته ، برغم أنك عميل لأحد أجهزة الأمن المصرية .

وابتسم (ممدوح) قائلًا بسخرية :

ـــ كما تعامل مع المقدم (نعيم) .. أليس كذلك ؟.

ابتسم الرجل بخبث قائلًا :

ـــ إن السيِّد (سليم) لم يكن هو الذى أصدر الأمر بقتل المقدم (نعيم) ، فهو لا يعمل وحده ، وهناك آخرون يختصون بإصدار مثل هذه الأوامر .. إننى سأنزل على أوامر (سليم بك) ، ولن ألجأ معك إلى الوسائل العنيفة ، برغم أن لدىَّ العديد منها .. ولكنى أريد منك أن تقدِّر ذلك ، وتكون أكثر تجاوبًا معنا ..

فى هذه الورقة عدة أسئلة مكتوبة ، نريد منك إجابات تفصيلية عنها ، وبدون اللُّجوء إلى المناورة ، فهى لن تجدى معنا ..

نريد أن نعرف ما إذا كان هناك آخرون غيرك ، يبحثون وراء النشاط الخفىّ للمؤسسة ، التى يديرها مستر (جارنر) .. من هم ؟ وكم عددهم ؟ وما القدر الذى توصَّلوا إليه من معلومات فى هذا الشأن ؟ وما الذى تعرفونه عن عملاء (منظمة العقرب) ؟ وماذا لديكم من معلومات بشأن السيِّد (سليم) ومستر (جارنر) ؟. وعدة أسئلة أخرى ستجدها فى هذه الورقة ، عليك أن تجيب عنها إجابات واضحة ومحدودة .

سأترك أمامك قلمًا وعدة أوراق بيضاء ، وهذا المصباح الضوئى ، لتبدأ دون ضغط ، وفى هدوء ، فى كتابة إجابتك التى أرجو أن تكون مقنعة ، لمصلحتك ، فلن تستمر هذه المعاملة الحسنة طويلًا .

قال له (ممدوح) متهكمًا :

ـــ إذن فلهذا أحضرتمونى إلى هذا المكان .. لتستعملوا معى وسائلكم الدنيئة ، فى الحصول على ما لدىَّ من معلومات قبل التخلص منى .

ردّ عليه الرجل بهدوء ، وهو يسوّى قبعته فوق رأسه :

ــ لقد قلتُ لك من قبل ، إن الأوامر تقتضى معاملتك معاملة جيدة .. ولكن فى حالة عدم تعاونك معنا ، سيكون هناك آخرون لديهم وسائل أخرى أكثر عنفًا ، وأشد قسوة مما تتخيّل ، وأظن أنك تعرفهم ، فقد جربت التعامل معهم من قبل .. لقد قرّروا نقلك إلى (أسترتان) بإحدى وسائلهم ، فى حالة عدم إبدائك القدر المطلوب من التعاون معى .. وهناك سيتولّى رجال المخابرات (الأسترتانية) استخراج كل ما يريدونه منك ، بوسائلهم الخاصة .

صدّقنى يا عزيزى ، فإن إبداء قدر من الحكمة والتعقّل من جانبك ، سيكون أفضل لك بكثير من الأهوال التى تنتظرك .

ثم طلب من أحد الرجال إحضار منضدة صغيرة ، ومقعد ليترك عليها الأوراق والقلم ، والمصباح الضوئى .

وشد قبعته بطريقة مسرحية وهو يغادر المكان ، قائلًا لـ (ممدوح) بنبرة ملؤها الثقة والتعالى :

ــ أنا فى انتظار إجاباتك يا عزيزى .. لا تنس .. أريدها أن تكون مقنعة .

ثم فتح الباب ليخرج ووراءه الرجلان المسلحان .

ومزّق (ممدوح) ورقة الأسئلة بعد خروجهم ، قائلًا لنفسه :

ــ يبدو أنهم لا يعلمون أبدًا .. فبرغم أنهم تعاملوا معى من قبل ، ويعرفوننى جيّدًا ، إلا أنهم لا يزالون يعتقدون أننى من ذلك النوع ، الذى يمكن أن يبوح بالأسرار السهلة .

مرّت قرابة الساعة ، وبدأ بعدها (ممدوح) يطرق الباب بكل قوته .

وردّ عليه صوت من الخارج قائلًا :

ــ ماذا تريد ؟.

ممدوح :

ــ قل لذلك الرجل ذى العصابة السوداء : إننى أعددت له الإجابات المطلوبة .



وسمع (ممدوح) وقع الأقدام وهى تبتعد .. وبعد قليل سمع صوت أقدام أخرى تقترب فى الخارج .

ودنا (ممدوح) ليقف خلف الباب مباشرة .

وما أن فتح الباب قليلاً ودخل منه أحد الأشخاص ، حتى ارتد الباب بكل قوته ، ليصطفق على عنق الداخل .

وصرخ الرجل من فرط الألم ، وقد سقط منه سلاحه على عتبة الباب .

فأمسك (ممدوح) بياقة قميصه ، ليجذبه بقوة إلى الداخل ، بعد أن فتح الباب على مصراعيه .. ووجد نفسه وجهًا لوجه أمام الرجل ذى العصابة السوداء ، الذى بوغت بهذا التصرُّف .

واستغل (ممدوح) عنصر المفاجأة ، ليقذف بالمصباح الضوئى على وجهه .

وتهشم المصباح ، وتناثرت شظايا زجاجه فى وجه الرجل ، الذى سرعان ما أمسكت به نيرانه ، وأخذ يصرخ محاولاً إطفاءها .

وانتهز (ممدوح) فرصة انشغال الآخرين به ، ومحاولتهم إطفاء النيران ، التى أمسكت بوجهه وثيابه ، ليلتقط المدفع الرشاش الذى كان ملقى على عتبة الباب .

وبأسلوب رجل (الكوماندوز) المحترف ، شرع يطلق النار فى جميع الاتجاهات ، نحو ثلاثة من الرجال المسلحين المحيطين بذى العصابة السوداء ، ليشتت انتباههم ، ويشق لنفسه طريقًا إلى الخارج .

وتمكن من إصابة أحدهم ، فيما اندفع الآخران يحاول كل منهما أن يجد لنفسه مكانًا يحتمى به ..

وانطلق (ممدوح) وهو يصنع لنفسه ساترًا من النيران فى دهليز طويل ممتد ، حيث تصدّى له ثلاثة رجال آخرون بأسلحتهم ، وقبل أن يتمكّن أحدهم من إصابته كان قد أرداهم جميعًا صرعى ..

ورأى (ممدوح) سلمًا معدنيًا صغيرًا ، ينتهى إلى باب خشبى فى سقف الردهة ، الممتد تحت الأرض .. وأسرع يرتقيه بخطوات سريعة ، فى حين كانت الطلقات تلاحقه ،

وأمسك المدفع بإحدى يديه ليرد على النيران المصوّبة نحوه ، فيما كانت يده الأخرى تدفع الباب الخشبىّ إلى أعلى ..

ومن حسن طالعه أنه فى اللحظة التى انتهت فيها طلقات مدفعه ، كان قد تمكّن من فتح الباب صاعدًا إلى أعلى ، بعد أن اجتاز الدرجة الأخيرة من السُلّم .

وانطلق (ممدوح) يركض فوق حشائش أرض سهلية منبسطة ، فى الوقت الذى كان فيه الرجلان الآخران قد اندفعا خلفه ، محاولين اللّحاق به .

وأخذت طلقاتهم تتناثر حوله ، وما أكثر ما كاد بعضها يحفّ به ، حتى بلغ قمة مرتفع صخرى ، يطل على مياه بحيرة صغيرة .

ولم يجد أمامه مفرًا من القفز من فوق قمة المرتفع إلى مياه البحيرة ، محاولًا السباحة ، فى خطوط متعرّجة ، ليتجنّب الرصاصات المصوّبة نحوه ، التى كانت تمزق صفحة المياه حواليه تمزيقًا ..

وقفز الرجلان بدورهما فى إصرار إلى الماء ، وقد استل كل منهما سكينًا طويلة حادة ، وضعها فى حزامه ، محاولين ألا يفلت منهما ..

هذا فيما راح (ممدوح) يسبح ، حتى وسعه أن يحتمى خلف إحدى الصخور الكبيرة ، المتناثرة فى مياه البحيرة .

وفى اللحظة التى دنا فيها أحد الرجلين منه ، قام (ممدوح) بالغطس تحت المياه ، بعد أن ملأ رئتيه شهيق عميق ، ليفاجئه من الخلف .. وقبل أن يستل الرجل سكينه ، كان (ممدوح) قد أمسك برأسه بكلتا يديه ، ودفع بها إلى الصخرة الكبيرة ، بكل قوته ، حتى خارت قوى الرجل وفقد وعيه ..

وتحايل (ممدوح) قبل أن يهبط الرجل إلى قاع البحيرة ، وجذب السكّين من حزامه ، فى الوقت الذى كان فيه الآخر قد دنا بدوره منه ، مطبقًا على سكينه بنواجذه ..

وحاول الرجل أن يطعن (ممدوح) ، لكن هذا تجنّب النصل الحاد ببراعة ..

ودار بينهما صراع رهيب ، وقد أطبق كل منهما يده على قبضة الآخر الممسكة بالسكّين ، محاولًا تجنُّب طعناتها القاتلة .

وتمكّن الرجل من أن يضرب يد (ممدوح) القابضة على السكين ، فى الصخرة الحادّة بكل قوة ، حتى أفلت السكين منه .. وأصبح (ممدوح) أعزل ، فيما استعد خصمه لتسديد الطعنة القاضية إلى صدره .

لكن (ممدوح) غطس سريعًا أسفل الماء ، والتقط السكين الذى سقط منه ، قبل أن يهوى إلى الأعماق .

ولم يكد الرجل يغطس بدوره خلف (ممدوح) ، حتى فوجئ بسكّين (ممدوح) يندفع إلى صدره .

وطفا الرجل فوق الماء ، وقد اختلطت دماؤه بمياه البحيرة .

* * *

٧ ــ خطر من السماء ..

كان (جارنر) فى أشد حالات الاضطراب والحنق ، حينما أخبره (سليم) بهروب (ممدوح) من مزرعته فى الجنوب ، على أثر اتصال رجاله به تليفونيًّا .

قال له (جارنر) :

ــ يبدو أن هذا الرجل أخطر مما تصوَّرت ، وأنه على وشك تسجيل نجاح آخر على مخابرات (أسترتان) .. إن معنى هروبه واتصاله بأحد أجهزة المخابرات العربية ، ضياعُ كل مجهوداتنا ، وتمزيق الستار الخفىّ ، الذى تتحرَّك من ورائه (منظمة العقرب) .

سليم :

ــ ربما نجحنا فى القبض عليه ، قبل أن يتمكَّن من الاتصال بأى شخص .. فهذه المنطقة التى هرب فيها منطقة جبلية ، منعزلة تمامًا .. ولا أعتقد أنه سيتمكن من الوصول إلى العمران مساء هذه الليلة .

جارنر :

ــ أيًّا ما كان الأمر ، فقد صدرت إلينا الأوامر بتجميد نشاط المنظمة مؤقتًا ، وجمع أوراقها ومستنداتها كافة ، وكل ما لدينا عن نشاط العملاء التابعين لها ، والهروب بكل ذلك إلى (أسترتان) .. وسوف يكون دورك هو البحث عن ذلك الشيطان ، وتعقُّبه ، لتحُول بينه وبين الاتصال بأى جهاز من أجهزة الأمن العربية ، أو أى شخص ، حتى أنتهى من جمع الأوراق الخاصة بالمنظمة كافة ، وتصفية نشاط المؤسسة .

سليم :

ــ اطمئن ، فأنا عليم بتضاريس المنطقة شبرًا شبرًا ، وسوف أقوم بمعاونة أحد رجالى باستطلاعها على الفور بواسطة الهليكوبتر .. وأعدك بأنه لن يخرج منها حيًّا قط ..

جارنر :

ــ وأنا سأجمع أوراق هنا ، وأتجه توًّا إلى المؤسسة ، للحصول على بقية المستندات الخاصة بنشاط المنظمة ،

وتصفية عملها ، حتى نكون مستعدين لمغادرة بيروت .

* * *

كان (ممدوح)فى تلك الأثناء قد اجتاز عدة طرق جبلية وعرة ، وبعد مسيرة شاقة مضنية ، استغرقت منه عدة ساعات ، التقى بأحد الرُّعاة الجبليين ، بصحبته قطيع من الغنم ..

وحيَّاه (ممدوح) قائلًا :

ـــ السلام عليكم يا أخى .

الرَّاعى :

ـــ وعليكم السلام ، ورحمة الله ، وبركاته .

وسأله (ممدوح) عن أقرب منطقة عمرانية .

أجابه الرجل :

ـــ أنا فى طريقى الآن إلى قرية قريبة .. وهناك توجد سيارة چيب صغيرة ، يمكنها أن تنقلك إلى المدينة .. فهل تأتى معى ؟

وشكره (ممدوح) قائلًا :

ـــ هل سنسير مسافة طويلة ؟.

الرَّاعى :

ـــ حوالى الساعة إلا الربع .

وبينما (ممدوح) يتحدَّث مع الرَّاعى ، إذا هو يسمع أزيز طائرة هليكوبتر .. ثم شاهدها تدنو محلِّقة فوقهما ..

ومن داخل الطائرة أشار (سليم) بإصبعه نحو (ممدوح) ، قائلًا للطيَّار الذى يقودها :

ـــ هاهو ذا .. جهِّز مدافع الطائرة ، واستعد لإطلاق النار ، أريد أن تحاصره بالطلقات من كل جانب ، ولا تدَعْ له أدنى فرصة للهروب .

ولكن (ممدوح) أدرك بشعوره الغريزى ، أن تلك الطائرة تحمل إليه نذر الخطر ، فصرخ فى الرَّاعى قائلًا :

ـــ انبطح أرضًا ، وحاول أن تحتمى بشىء ما .

ولكن تحذير (ممدوح) ذهب أدراج الرياح .. فقد انطلقت مدافع الطائرة تحصد كل من على الأرض حصدًا ..

وتلقَّى الرَّاعى عدة رصاصات فى جسده أردته قتيلًا فى الحال ..

أما (ممدوح) فقد اندفع يعدو ، ليلقى بنفسه على الأرض وسط الأغنام التى أخذت تتساقط ، وقد أصابتها الرصاصات التى صارت تنهمر عليها من السماء .

وجاءت سقطة (ممدوح) على ظهره ، وهو يحتضن أحد الخراف التى احترق الرصاص جسدها لتسيل دماؤه فوق جسده .. وأشار الطيّار إلى (سليم) قائلاً :

— لقد قتلته .

ونظر (سليم) إلى حيث كان (ممدوح) ، والكبش الملقى فوقه خامدى الحركة ، فى حين كانت البقية الباقية من الخراف تجرى فزعة ، متفرّقة من الهول الذى هبط عليها من السماء .

قال له (سليم) :

— دَعْنا نهبط بالطائرة ، حتى نستيقن من أننا قد تخلّصنا منه إلى الأبد .

وهبطت بهما الطائرة إلى مقربة من (ممدوح) لينحدر منها (سليم) ، الذى أخرج مسدسه قائلاً للطيّار :

— امض وافحص جثته ، لنتأكد من موته .. أريد أن أطمئن على أننا قد تخلّصنا من هذه الحشرة المزعجة .

وتقدّم الطيّار نحو (ممدوح) ليرفع الكبش من فوقه .. ولكنه فوجئ بـ (ممدوح) ينهض من على الأرض فجأة ، وقد أمسك برأس الكبش بين يديه ، دافعًا قرونه الحادّة المدبّبة فى عنق الطيّار ، فى اللحظة التى كان ينحنى فيها نحوه .

وسقط الطيّار أرضًا على ظهره ، وهو يصرخ ، فى حين أمكن (ممدوح) أن يغرز قرون الكبش فى عنقه .

واضطرب (سليم) ، فقد تأهّب لتصويب مسدسه نحو (ممدوح) ، لكن (ممدوح) التقط حجرًا من الأرض ، وصوّبه سريعًا وبكل قوته إلى يد (سليم) ، مطيحًا بالمسدس من يده ، الذى سقط على مسافة عدة أمتار .. وازداد اضطراب (سليم) ، الذى فقد رباطة جأشه ، واندفع يركض مسرعًا صَوْبَ المسدس الذى سقط منه قبل أن يلحق به (ممدوح) .

على أن (ممدوح) ـ الذى كان بطلًا فى سباقات الجرى ـ ضرب الرقم القياسى ، وهو يعدو وراءه ، ليثب نحوه محتضنًا ساقيه بكلتا ذراعيه ، فى اللّحظة التى كاد فيها يلتقط مسدسه من على الأرض .

وجثم (ممدوح) ، فوقه ، ليسدّد له سيلًا من اللّكمات العنيفة ، قائلًا له فى غضب :

ـ هذه من أجل (نعيم) .. وهذه من أجل الرّاعى المسكين الذى قتلته .. وهذه من أجل عروبتك التى خنتها .

ولم يهدأ (ممدوح) بالًا إلّا بعد أن تأكّد من أن الرجل نال ما يستحقه ، بعد أن فقد وعيه تمامًا ، تحت تأثير لكماته الحديدية .

وجرّه (ممدوح) من سترته على الأرض نحو الطائرة ، ليقيّده بالحبال ويلقيه داخلها ، وقد تأهب لقيادتها فى طريقه إلى بيروت .

* * *

٨ ـ مواجهة فى الجوّ ..

دخل (سليم) إلى مبنى المؤسسة ، وبصحبته (ممدوح) ، الذى قال له هامسًا ، وهو يتجه معه نحو المصعد ، واضعًا يده فى جيبه الأيمن :

ـ عليك أن تتذكّر جيّدًا أن المؤسسة محاصرة من الداخل ، ومن الخارج برجال الأمن والمخابرات .. وأن فى جيبى مسدسًا سريع الطلقات ، لن أتردّد لحظة فى استخدامه ضدك ، إذا ما عمدت إلى المراوغة .

وضغط (سليم) على أسنانه قائلًا :

ـ أعتقد أنه لم تعُد هناك جدوى من المراوغة .

واستقل الرجلان المصعد ، فى طريقهما إلى الدور الأخير من مبنى المؤسسة ، حيث مكتب مستر (جارلر) .

وحينما دخلا إلى حجرة السكرتيرة ، انتابتها الدهشة وهى ترى الكدمات الواضحة فى وجه (سليم) ، من تأثير لكمات (ممدوح) القوية .

قالت له بقلق :

— (سليم بك) ، هل أصابك مكروه ؟.

أجابها (سليم) بلهجة يائسة :

— لا .. لا شىء .. هل مستر (جارنر) فى مكتبه ؟.

السكرتيرة :

— نعم سأبلغه بحضورك .

سليم :

— لا داعى ، سأدخل له بنفسى .

وأشارت إلى (ممدوح) بتردُّد قائلة :

— ولكن ......

قال لها (سليم) مطمئنًا :

— إنه صديق .. ولن يمانع مستر (جارنر) فى مقابلتنا معًا .

ودفع الباب يتبعه (ممدوح) ، لينفذا معًا إلى حجرة (جارنر) ، الذى كان لم يزل منهمكًا فى جمع بعض الأوراق ، وعدد من شرائط الميكروفيلم .

ابتدره (سليم) بنبرة تنبئ عن مرارته :

— مساء الخير يا مستر (جارنر) ..

واستدار (جارنر) من أمام خزانته المخفاة خلف الجدار ، قائلاً :

— (سليم) ؟.. هل انتهيت من ....

ولكن الكلمة ماتت فوق شفتيه ، حينما رأى (ممدوح) منتصبًا فى منتصف الغرفة ، ومسدسه مصوَّب إليه ..

ابتدره (ممدوح) قائلاً :

— مفاجأة .. أليس كذلك ؟.. هل انتهيت أنت من جمع الأوراق المتعلقة بأسرار (منظمة العقرب) ؟

وحاول (جارنر) أن يبدو رابط الجأش ، وهو يقول له :

— إن المفاجأة متوقَّعة دائمًا مع رجل مثلك .. إننى لم أنته تمامًا ، فلم تزل هناك بعض الأوراق الأخرى .

ومدَّ يده داخل الخزانة المخفية وراء الحائط ، محاولاً التقاط مسدس مزوَّد بكاتم للصوت من داخلها .

ولكن (ممدوح) أشار له ، وهو يحرِّك الزِّناد قليلاً بإصبعه قائلاً :

— أبعد يديك سريعًا ، وإلا فقدت حياتك .

وتراجع (جارنر) عن لمس مسدسه ، فى حين استمر (ممدوح) فى حديثه ، وهو ينقل نظراته الحذرة بين (سليم) و (جارنر) قائلًا :

— هناك من سيأتى حالًا لجمع المستندات والأوراق كافة .. فوفّر مجهودك .

وفى تلك اللحظة ، كان هناك شخص آخر يرقب ما يدور داخل مكتب (جارنر) ، من خلال شاشة تليفزيونية صغيرة ، مثبتة أمامه .

وبصوت مبحوح ملؤه الغضب ، صاح ذلك الشخص :

— أولئك الأغبياء .. لقد أفسدوا كل شىء .

وضغط على عدة أزرار أمامه ، ليبرز فورًا فى الأركان العلوية لسقف حجرة مكتب (جارنر) ، عدد من المضخات ، أطلت من جوانب الحائط .

واندلعت منها ألسنة طويلة متتالية من اللهب داخل الحجرة .

وبوغت (ممدوح) لدى رؤيته تلك الحركة المفاجئة .. فيما أمسكت النيران بأجزاء متفرّقة من جسد (جارنر) ، فى الوقت الذى وثب فيه (سليم) إلى أسفل المكتب الذى بالغرفة ، محاولًا الاحتماء من النيران ، التى تنصب على جميع أرجاء الحجرة .

أما الأوراق وشرائط الميكروفيلم والحقائب ، التى كانت موضوعة على المكتب ، فقد احترقت بأكملها ، بعد أن أمسكت بها قذائف اللهب .

وفى الوقت الذى كانت فيه النيران تجتاح الحجرة ، كان ذلك الشخص الغامض يندفع إلى السطح العلوى لمبنى المؤسسة ، وفى يده حقيبة سوداء ضخمة ، حيث كانت هناك طائرة هليكوبتر فى انتظاره .

وبينما كان (ممدوح) يحاول أن يبحث لنفسه عن مخرج من حلقة النيران المحيطة به ، التقطت أذناه صوت محركات الهليكوبتر ، وهى تتأهب للإقلاع من فوق سطح مبنى المؤسسة .



اقتحم (ممدوح) النيران ، ليفتح زجاج النافذة الكبيرة فى غرفة (جارنر) ، ثم أمسك بحبل من النايلون المزوَّد بالخطاف ، ليقذف به إلى سور السطح العلوى للمبنى ، وأسرع يتسلَّقه .

ولم يكد (ممدوح) يبلغ السطح ، حتى انطلق يعدو فى اتجاه الطائرة العمودية ، التى كانت مروحتها وقتئذ تدور بأقصى سرعتها ، وهى ترتفع إلى أعلى .

ولم يكد يصل إليها ، حتى كانت قد ارتفعت بالفعل .. فلم يجد (ممدوح) أمامه مفرًا من الوثوب والتعلُّق بعجلاتها فى أثناء تحليقها فى الجوّ ..

* * *

ظل (ممدوح) معلقًا بكلتا قدميه ويديه بعجلات الطائرة ، وهو يجاهد ويحاول أن يحفظ توازنه ، ليخرج من جيب سترته العلوى مفجرًا مغناطيسيًا صغيرًا ، ويضعه بين أسنانه ، منتزعًا منه فتيل الأمان .

ثم بمجهود خارق ، ومرونة فائقة ، تمكّن من أن يعلّق يد واحدة بإحدى عجلات الطائرة ، ليضع باليد الأخرى المفجّر المغناطيسى ، ليلتصق بالإطار الخارجى لباب الطائرة .

وإن هى إلا ثوانٍ معدودة ، حتى سمع صوت دوىّ فجّر باب الطائرة .

وفوجئ الرجل ذو الصوت المبحوح ، بباب الطائرة وقد طار من مكانه ، ليسقط فى الفضاء .

وتضاعفت دهشته ، حينما رأى (ممدوح) يتعلّق بالإطار الخارجى المحيط بالباب ، ويقذف بجسده إلى الداخل .

لكن الرجل سرعان ما تغلّب على المفاجأة ، وظل مسيطرًا على قيادة الطائرة ، فى حين كانت يده مصوّبة نحو (ممدوح) بمسدس سريع الطلقات .

وضحك الرجل صائحًا بصوت حاول أن يعلو على صوت مروحة الطائرة ، بعد إذ صار ضجيج المروحة شديدًا لطائرة فقدت بابها :

— إنك عميل ممتاز أيها المقدم (ممدوح) .. فأنت لست من ذلك الطراز الذى يستسلم بسهولة .. أعرّفك بنفسى ، إننى (جودان) برتبة (ماجور) فى المخابرات (الأسترالية) ، كما أعرف أيضًا بـ (العقرب) .. إننى المسئول الأول عن أكبر منظمة للتجسّس فى الشرق الأوسط .

صرخ (ممدوح) بدوره بصوت عالٍ جدًا :

— إذن .. فلم يكن (جارنر) ....

وأطلق (العقرب) ضحكة عالية مجلجلة قائلاً :

— لا .. لم يكن هو الرئيس كما تصوّرتم .. إنه لم يكن سوى الواجهة التى أعمل من خلالها .. لقد تسبّبت أنت فى سرعة إصدار أوامرى بإيقاف نشاط المنظمة ، بعد إن تكشّف الكثير من أسرارها ، وأصبح اثنان من أكبر عملائها ورقتين محروقتين ..

لكن العملاء السرّيين المنتشرين فى مناطق متفرّقة من الشرق الأوسط ، ما زالوا كما هم موجودين ، ولدىّ قائمة كبيرة

فى هذه الحقيبة بأسمائهم الحقيقية والسرّيّة ، وطرق الاتصال بهم ، ووسائل الحصول على المعلومات المطلوبة منهم فى الوقت المناسب ..

لقد توقّف نشاط المنظمة مؤقتًا ، لكننا سنعود قريبًا جدًا ، لنمارس النشاط من جديد ، وبشكل أكثر توسّعًا .. أكثر بكثير مما يتصوّره المسئولون عندكم .. تأكد أنه طالما بقيت (رأس العقرب) فى مكانها ، فلن تتمكنوا أبدًا من القضاء على أطرافها .

لقد أرهقتنا كثيرًا أيها المقدم ، وآن الأوان لكى نستريح منك .

وتحركت إصبعه على الزّناد قائلًا :

ــ عليك أن تختار ، فإما أن تلقى بنفسك من الطائرة باختيارك ، أو ألقى بك منها ، مزيّنًا برصاصة فى رأسك .

* * *

٩ ــ النجاح الكبير ..

يتميّز (ممدوح) ــ كرجل (كوماندوز) من الطراز الأول ــ بسرعة حركاته الفجائية ، التى لا يتوقّعها خصمه ، وحتّى لو توقّعها ، فهى فى سرعتها تفوق أى تصرّف قد يقدم عليه خصمه ..

وهكذا .. ففى حركة سريعة فجائية مباغتة تفوق سرعة ضغط الإصبع على الزّناد ، تعلّق (ممدوح) بالإطار الخارجى لباب الطائرة ، الذى قام بتفجيره ، وسدّد ركلة قوية لوجه (العقرب) .

وانطلقت الرصاصة من مسدس (العقرب) ، لتطيش فى الهواء ، وكادت تحف بأذن (ممدوح) ، الذى ألقى بثقل جسده فوق (العقرب) ، قابضًا على يده الممسكة بالمسدس فى محاولة لإبعاد فوّهته عنه .. واستطاع أن يلوى ذراعه إلى الخلف ، وهو يضغط عليها بكل قوته ، حتى أسقط المسدس منه .

ولكن الرجل تخلّص من قبضة (ممدوح) ، واستدار ليسدِّد له لكمة قوية ، سقط (ممدوح) على أثرها فوق مقعد الطائرة .

وأسرع (العقرب) يحاول أن يمسك بمسدسه مرة أخرى ، ولكن (ممدوح) أبعده عنه ، وهو يسدِّد له ضربة عنيفة فى معدته ..

وكان (العقرب) قد تخلّى عن قيادة الطائرة ، على أثر هذا الصراع الدائر بينه وبين (ممدوح) .. فأخذت الطائرة تتأرجح فى الجوّ ، وقد فقد الرجلان فيها القدرة على الاحتفاظ بتوازنهما .

وعلى أثر لكمة قوية من (العقرب) ، كاد (ممدوح) يسقط من باب الطائرة المفتوح ، لولا أنه أمسك بالإطار بيديه بكل قوة فى اللحظة الأخيرة .

على أنه فى اللحظة التى أخرج فيها (العقرب) خنجره ، ليسدِّد به طعنة قاتلة إلى صدر (ممدوح) ، اختل توازن الطائرة بشدة .. وتعلّق (ممدوح) بكل قوته فى

الجانب الأيسر من إطار الباب المفتوح ، فى حين لم يجد (العقرب) أمامه سوى الفراغ ، فاندفع جسمه كالقذيفة من الطائرة وهو يطلق صرخة مدوّية .

هذا فيما كان (ممدوح) يلهث ، وقد تصبّب جسده عرقًا ، بعد أن كاد يشرف على الهلاك منذ برهة ..

وحين استطاع أن يستعيد سيطرته على أعصابه ، أسرع يحاول أن يسيطر على قيادة الطائرة من جديد .

على أنه حينما نظر أمامه من خلف زجاج الطائرة ، أيقن أن الوقت قد فات .. فقد كانت الطائرة قاب قوسين أو أدنى من الاصطدام بجبل شاهق ، على مسافة لا تزيد على الأمتار ..

ونظر بسرعة إلى أسفل ، فلم يجد سوى مياه بحر عميق يحيط الجبل بشواطئه .

وبدون لحظة من تردُّد ، التقط (ممدوح) الحقيبة الجلدية السوداء من المقعد الخلفى ، ثم قذف بنفسه من

الطائرة ، فجعل يهوى من حالق ، إلى أن ارتطم أخيرًا بمياه البحر ، وفى اللحظة التالية شرع يسبح بكل قوته ، محاولًا الوصول إلى الشاطئ .

* * *

فى مقر الإدارة العليا لهيئة الأمن القومى ، كان رئيس الهيئة مجتمعًا مع كبار المسئولين عن الأمن ، للمرة الثانية خلال أقل من شهر .. وأخذ يستعرض معهم ما تم عمله بخصوص مكافحة نشاط منظمة التجسُّس (الأسترتانية)، المعروفة باسم (العقرب) .

قال لهم رئيس هيئة الأمن :

— يبدو أننا مضطرون أن نبدأ الاجتماع بدون حضور اللواء (مراد) ، فقد تأخر عن موعده .

على أنه ما كاد يبدأ الاجتماع ، حتى فتح الباب فجأة ، ليدخل منه اللواء (مراد) ، حاملًا فى يده حقيبة جلدية سوداء كبيرة ، وهو يلهث ، ويجفف عرقه ، قائلًا لرئيس الهيئة :

— معذرة يا سيدى للتأخير ..

وأشار له رئيس الهيئة بالجلوس قائلًا :

— الآن يصبح جميع الأعضاء مكتملين .. لقد استطاعت إدارة العمليات الخاصة أن تؤدى دورًا جيدًا ، عن طريق ذلك الشاب الشجاع ، المقدم (ممدوح) قبل اختفائه .. فقد وضعنا أيدينا على الرءوس الكبيرة فى منظمة (العقرب) ، وتمكنَّا من إماطة اللثام ، عن الدور الذى كانت تقوم به تلك المؤسسة الأجنبية الموجودة فى بيروت ، والتى تعرف باسم (المؤسسة العالمية للإلكترونيات) ، وفضح دورها فى عمليات التجسُّس الأخيرة لحساب مخابرات (أسترتان) .

حقًّا إن نجاحنا لا يعتبر نجاحًا كاملًا ، حيث إنه لا تتوافر لدينا حتى الآن معلومات كاملة عن جميع العملاء السريين التابعين لهذه المنظمة ، وأسماء الذين يعملون معهم .

وربما يتم استخدامهم بشكل أو بآخر ، فى أعمال تجسُّس جديدة لصالح مخابرات (أسترتان) .. خاصة وأننا علمنا أن الرئيس الحقيقى لمنظمة (العقرب) قد اختفى هو الآخر ، ومعه جميع الأسرار التى تتعلّق بنشاط هؤلاء العملاء ، لكن ....

وقاطعه اللواء (مراد) قائلًا :

ـ معذرة يا سيِّدى .. أتسمح لى بكلمة ؟

رئيس الهيئة :

ـ أتريد أن تقول شيئًا يا (مراد) ؟

اللواء (مراد) :

ـ نعم .. أريد أن أقول إننا قد عثرنا على المقدم (ممدوح)، وهو الآن فى مكتبه بالإدارة ..

وأكثر من ذلك فقد أحضر معه هذه الحقيبة ، التى تحتوى على جميع الأسرار والوثائق المتعلّقة بعملاء (منظمة العقرب) ، وأسماء من يتعاملون معهم ، ومناطق نشاطهم .

أما عن رئيس المنظمة نفسه ، فقد لقى حتفه ، فى أثناء محاولته الهروب بطائرته الخاصة ، وبعد معركة عنيفة دارت بينه وبين المقدم (ممدوح) فى الطائرة .

وعلت الدهشة وجوه الحاضرين ، فى حين وضع اللواء (مراد) الحقيبة الجلدية السوداء ، التى أحضرها معه ، والتى تحتوى على أسرار شبكة التجسُّس أمامهم فوق المائدة .

وبعد أن فحص رئيس الهيئة محتوياتها ، نظر إلى أعضاء الهيئة ، وعلى وجهه ابتسامة عريضة قائلًا لهم :

ـ أعتقد أننا نستطيع أن نقول الآن : إننا قد حقّقنا نجاحًا كاملًا ، ولم يبق أمامنا سوى التحرُّك ، لإلقاء القبض على جميع العملاء الذين وردت أسماؤهم فى هذه المستندات ؛ لنكون بذلك قد أغلقنا ملف (منظمة العقرب) نهائيًا ، وسددنا ضربة حاسمة لمخابرات (أسترتان) .

ثم مال على اللواء (مراد) قائلًا :

ـــ أهنئك على وجود مثل ذلك الرجل معك أيها اللواء (مراد) .. لقد قام بعمل عظيم ، وبذل مجهودًا ضخمًا لإنجاح هذه العملية ، فقد أسدى لنا خدمة كبرى ، فى سبيل القضاء على أخطر شبكات التجسُّس ، التى عرفتها المنطقة .. إننى أودّ مقابلته لأشكره بنفسى ، وأكافئه على ما بذله .

وابتسم اللواء (مراد) ، وهو يجمع أوراقه قائلاً :

ـــ إنه سيرحِّب بمقابلة سيادتك بلا شك .. لكن بخصوص المكافأة فلا أعتقد أنه سيقبلها .. إنه يرى دائمًا أن مكافأته الحقيقية هى خدمة بلاده ، وخاصة فى أداء عمله الذى يؤمن به ، ويقبل التضحية دائمًا ، حتى بحياته فى سبيل أدائه ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠